٣



الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية على مسائل العقيدة

أ.د. خالد بن إبراهيم بن عبد اللّه الدبيان



الأستاذ بكلية التربية
بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

• حصل على درجة الماجستير من كلية التربية بجامعة الملك سعود بأطروحته (قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني).

• حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته (الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري).

E : Dr.khalied.d@gmail.com

الملخص

موضوع البحث: الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية على مسائل العقيدة.

منهج البحث: التتبع والدراسة.

أهداف البحث:

- التأكيد على المنهج النبوي في تأصيل الاستشهاد بالآيات القرآنية على قضايا العقيدة.
- جمع بعض الأحاديث التي استشهد بها النبي ﷺ في العقيدة وبيان دلالة ذلك.
- بيان الترابط الوثيق بين الكتاب والسنة في الاستدلال.

أهم النتائج:

- اهتمام الرسول ﷺ بالاستشهاد بالقرآن الكريم.
- أن السنة حُجَّة بذاتها.
- من أبرز أسباب انتشار البدع في المجتمعات التهاون في هذين المصدرين.
- إن علماء السلف في جميع العلوم لا يخرجون عن النهج النبوي في تقرير العقيدة، واستشهاده ﷺ لديهم مقدم على غيره.

التوصيات:

- أهمية تربية الأجيال على تطبيق المنهج النبوي في تقرير العقيدة.
- تأكيد أهمية الدراسات العقائدية المستمدة من تدبر القرآن وفهم السنة.
- ضرورة جمع الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية في كتب السنة في كتاب واحد، مما يحقق فائدة للباحثين.

الكلمات المفتاحية: عقيدة – استشهاد – معتقد – أصول- السلف الصالح- منهج.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧] فقد بلغ الرسول ﷺ رسالة ربه، وأتم الله به الدين كما قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[المائدة:٣].

لقد وقف الرسول ﷺ في أعظم مشهد للناس وهو يوم الحج وقال مخاطبًا أصحابه رضي الله عنهم: «..**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدَّيت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «**اللهم، اشهد، اللهم، اشهد**» ثلاث مرات»(١).

إن أصل دعوة الرسول ﷺ هي الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وهي دعوة الرسل جميعًا كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد قال الطبري رحمه الله عن تفسير هذه الآية: «ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، فتضلوا»(٢).

---

(١) الجامع الصحيح، مسلم (٢/ ٨٩٠).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٧/ ٢٠١).

وربى النبي ﷺ أصحابه على هذا النهج فلما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، قال له ﷺ: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**» -الحديث-[(١)].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : «وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] »[(٢)].

لقد كان الرسول ﷺ يؤصل دعوته مستشهدًا بآيات من كتاب الله تعالى، وقد أورد أئمة الحديث وعلماء الإسلام أحاديث كثيرة يستشهد النبي ﷺ لما يقرِّره من أصول الدين بآية من كتاب الله، فمن ذلك استشهاده ﷺ بتعريف الظلم الوارد في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] بأن المراد بالظلم في هذه الآية هو: (الشرك) واستدل ﷺ بما ذكره الله عن لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] إلى غير ذلك من الأمثلة.

وقد وفقني الله تعالى إلى جمع بعض النصوص التي استشهد فيها النبي ﷺ بالآيات القرآنية على مسائل العقيدة، من كتب السنن والصحاح، وفي هذا البحث اقتصرت على تسع عشرة مسألة من مسائل العقيدة والتي استشهد النبي ﷺ عليها بآيات من كتاب الله، مع دراسة الاستشهاد النبوي على المسألة العقدية، ومن ثَمَّ أذكر أقوال السلف والمفسرين عن دلالة الآية المستشهد بها، دون التعرض للخلاف العقائدي مع الفرق المخالفة لمعتقد السلف.

وأسأل الله أن أوفق للحق والصواب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري (٢/ ١١٩).

(٢) العبودية، ابن تيمية (٧٧).

أهداف البحث:

لقد تم جمع ودراسة النصوص الواردة في الموضوع، من أجل تحقيق أهداف البحث، ومن أبرزها:

١. التأكيد على المنهج النبوي في تأصيل الاستشهاد بالآيات القرآنية على قضايا العقيدة.

٢. جمع بعض نصوص الأحاديث التي استشهد فيها النبي ﷺ على مسائل عقائدية وبيان دلالة ذلك من خلال شرح النصوص ونقل أقوال أئمة السلف رحمهم الله تعالى.

٣. بيان الترابط الوثيق بين الكتاب والسنة في الاستدلال تحقيقًا لقوله ﷺ: «**تركت فيكم أمرَين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه**»[١].

٤. بيان أقوال علماء أهل السنة والجماعة في دلالة الآية على مسائل في العقيدة، مخالفين بذلك المناهج الكلامية أو الطرق الصوفية.

٥. إبراز دور علماء التفسير رحمهم الله في ربط موضوع الآية بمسائل العقيدة. وتوقفهم على ما ذكره النبي ﷺ، من دليل على معنى الآية[٢].

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلا (٢/ ٤٨٠) برقم (٢٦١٨). والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) برقم (٣١٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦) برقم (١٨٦). وقال ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(٢٤/ ٣٣١) : «هذا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث..» ثم ذكر بعضها. وقال الشيخ الألباني في تخريج المشكاة (١/ ٦٦) : «حديث حسن». وأخرج الحاكم في المستدرك(١/ ١٧١) بلفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه «...**إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه** ﷺ..» وقال عنه صحيح، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠) برقم (٤٠): «صحيح». وأيضا رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**» المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٢) برقم (٣١٩).

(٢) انظر مثال ذلك قول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] تفسير الطبري (١٨/ ٥٤٤ و ٥٥٩).

الدراسات السابقة:

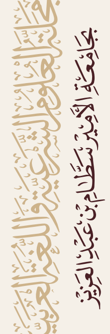
من خلال التتبع في مراجع البحوث لم أجد دراسة علمية عن موضوع الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية والمتعلقة بموضوع العقائد وإنما يوجد بحث علمي بعنوان: (الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ﷺ ودلالات استشهاده بها (أحاديث الصحيحين) لفضيلة الشيخ الدكتور عصام بن عبد المحسن الحميدان، وهو منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، في عددها (٦) لعام ١٤٢٩هـ.

والبحث يهتم بحصر استشهادات النبي ﷺ بالآيات القرآنية التي وردت في أحاديث الصحيحين، ودراسة دلالات تلك الاستشهادات؛ كبيان المجمل والمبهم، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وبيان العموم، وبعضها لأغراض تتعلق بالفقه كتوضيح حكم شرعي، وبعضها لأغراض تتعلق بأصول الفقه كشرع من قبلنا مع العناية بتفسير الآية، دون مناقشة ودراسة الاستشهاد النبوي.

أما فيما يتعلق في موضوع البحث عن الاستشهاد على مسائل الاعتقاد، ودراسة المسألة وبيان أقوال السلف وأئمة المفسرين فلم يتناول الباحث الفاضل ذلك في بحثه.

منهج البحث وحدوده:

قصرت نطاق البحث بالاستشهاد النبوي بالآية القرآنية المتعلقة في موضوعات العقيدة، دون المسائل الأخرى، والتزمت الاستدلال بالأحاديث الصحيحة الثابتة من قوله ﷺ، دون ما تلاه الصحابة رضي الله عنهم، أو ما حكى الصحابة رضي الله عنهم أن الرسول ﷺ فسّره دون أن يتلوه الرسول ﷺ، فهذا لا يدخل في البحث لعدم استشهاد النبي ﷺ بالآية. وكذلك ليس من مقصد البحث احتواء جميع الأحاديث الواردة في ذلك.



وقد راعيت في ترتيب الأحاديث التي تضمنت الاستشهاد بالآيات -محل الدراسة- مباحث ومسائل متعلقة في مسائل العقيدة ووضعت عنوانًا لكل حديث يتم الاستدلال به.

وقد سلكت في كتابة البحث منهج البحث والتتبع للأحاديث الواردة والصحيحة عن الرسول ﷺ مستشهدًا بآيات قرآنية تتعلق بمسائل العقيدة، ثم شرح الحديث المستشهد به وبيان ما ذكره سلف الأمة من تقرير في المسألة العقائدية دون ذكر الخلاف والآراء عن الفرق المخالفة.

إجراءات البحث:

في كتابة البحث سلكت الإجراءات المتبعة في التخصصات الشرعية، حيث تتبعت الاستدلالات النبوية الصحيحة في كتب الصحاح والسنن، واستظهار المسألة العقائدية المستدل بها، ثم تتبع أقوال أئمة المفسرين في دلالة الآية على الاستشهاد، وبيان أقوال السلف مع مناقشة المسألة العقائدية.

أهمية الموضوع:

يظهر أهمية موضوع البحث في أهمية مفرداته ومجال دراسته، حيث أنه يتناول دراسة أحاديث النبي ﷺ وبيان سنته في مجال استدلالاته ﷺ بالآيات القرآنية في موضوع العقيدة، وذلك لتقرير منهج عقدي تميز به السلف الصالح رحمهم الله، وهو أن مصدر تلقي العقيدة هما الكتاب والسنة.

خطة البحث:

يتكون البحث مما يلي:

من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة: يبين فيه الباحث أهمية البحث وأهدافه.

التمهيد: أهمية الاستدلالات النبوية بالآيات القرآنية وآثارها.

المبحث الأول: الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوحيد العلمي المعرفي، فيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي في إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى.

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على قبض الأرض وطي السموات بيمينه سبحانه وتعالى.

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على مفاتيح الغيب الخمس.

المسألة الرابعة: إبطال تأثير الشمس والقمر على الحوادث الأرضية.

المطلب الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على تفسير الظلم بالشرك.

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على السمع والطاعة ومخالفة أهل الكتاب.

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي في شرك الطاعة للأحبار والرهبان.

المبحث الثاني: الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالأنبياء والرسل، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستشهاد النبوي على صفة الحياء لنبي الله موسى عليه السلام.

المطلب الثاني: الاستشهاد النبوي على مكانة نبي الله إدريس عليه السلام.

المبحث الثالث: الاستشهادات المتعلقة باليوم الآخر. وفيه مطالب:

المطلب الأول: الحياة البرزخية. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على تثبيت المؤمن في قبره.

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على عدم دخول روح الكافر إلى السماء.

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على بعض علامات الساعة الكبرى.

المطلب الثاني: الحشر. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على أهوال يوم القيامة.

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على حال الناس يوم الحشر.

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على شفاعته صلى الله عليه وسلم لأمته.

المطلب الثالث: الجنة والنار. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على حسرة الكافرين عند دخولهم النار.

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على نجاة المؤمنين من الوقوع في النار بعد ورودها.

المبحث الرابع: **الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالقدر**، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستشهاد النبوي على سبق القدر بأعمال العباد.

المطلب الثاني: الاستشهاد النبوي على أن هداية الأنبياء، هداية دلالة وإرشاد.

الخاتمة: وذكرت فيها أبرز نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

تمهيد
دلالة السنة ومكانتها

لقد بحث علماء الأصول مسألة العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية من جهة دلالتها على الأحكام وتفاصيلها.

وحيث إن البحث متعلق ببعض هذه المباحث الأصولية، فقد يكون من لوازم البيان أن أذكر بعض ما سطَّره علماء الأصول فيما له علاقة متصلة بالبحث.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «فلم أعلم من أهل العلم مخالفًا في أن سُنن النبي ﷺ من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين. والوجهان يجْتَمِعان ويتفرَّعان:

أحدهما: ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبيَّنَ رسول الله ﷺ مثلَ ما نصَّ الكتاب.

والآخر: مما أنزل الله فيه جملةَ كتاب، فبيَّن عن الله معنى ما أراد؛ وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.

والوجه الثالث: ما سنَّ رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب..»[(١)]. إلى آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إن إيراد نماذج من الاستشهاد النبوي في آيات القرآن الكريم على مسائل العقيدة، يفهم منه أنه من تمام البيان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] . فالرسول ﷺ، يبين «للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد وأحوال البعث وسائر الأحكام الشرعية»[(٢)].

(١) الرسالة، الشافعي (١/ ٩٠) انظر: الفصول في الأصول، الجصاص (٣/ ٢٢٤). والعدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (٢/ ٦١٤). والمسودة في أصول الفقه، آل تيمية (٢٠٢). وتيسير التحرير، أمير بادشاه الحنفي (٣/ ٢٢). وإرشاد الفحول، الشوكاني (٢٩). وخبر الواحد وحجيته، أحمد الشنقيطي (٦٣). ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد الجيزاني (١٣٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٠٨).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره. وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾»[(١)].

وما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن علاقة السنة مع القرآن الكريم، يتفق مع ما ذكره الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول ابن القيم: «والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها.

الثاني: أن تكون بيانًا لما أُريد بالقرآن وتفسيرًا له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ، تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته..»[(٢)].

فمن خلال ما ذكر فإن الاستشهاد النبوي لا يخرج إما أن يكون استشهاده ﷺ بالآية تفسيرًا لها، وإما أن يكون زيادة في الدلالة والحكم والبيان، وهذه الأوجه يؤكد صوابها قول النبي ﷺ: «**ألا إِنّي أُوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إِنّي أُوتيتُ القرآن ومثله معه**... » -الحديث-[(٣)].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**أُوتيت الكتاب ومثله معه**» يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما أن يكون معناه أنه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلُوّ مثل ما أعطي من الظاهر المتلُوّ. ويحتمل أن يكون معناه: أنه أوتي الكتاب وحيًا يُتلى، وأوتي من البيان أي أُذِن له أن يبيّن ما في الكتاب ويعُمّ ويخُصّ، وأن يزيد عليه فيُشرِّع ما ليس

(١) الموافقات، الشاطبي (٤/ ٣١٤).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (٢/ ٢٢٠).
(٣) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، (٢٨/ ٤١٠). وأخرجه أبو داود في السنن (٤/ ٣٢٨) وقال الألباني: صحيح.

له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم، ولزوم العمل به، كالظاهر المتلوّ من القرآن»[(١)] .

وقد قرَّر علماء السلف أن تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم وإظهار دلالة الآية هي من أعلى مقامات التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما ينبغي أن يُعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتَجْ في ذلك إلى أقوال أهل اللغة، فإنه قد عُرف تفسيره»، وقال أيضًا: «ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسِّرها أو تنسخها أو بسنة الرسول ﷺ، تفسرها، فإن سنة رسول الله ﷺ تبيِّن القرآن وتدلّ عليه وتعبِّر عنه»[(٢)].

(١) معالم السنن، الخطابي (٣/ ١٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/ ٢٧ و٢٩).

المبحث الأول

الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالله

المطلب الأول: التوحيد العلمي المعرفي، فيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي في إثبات رؤية الله ﷻ:

إن رؤية المؤمنين لله يوم القيامة ثابتة بنص القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٣]، وقد ذكر الطبري أقوال علماء السلف والتي تفيد بأن المراد بالنظر: إلى الله تعالى[(١)].

وثبت عن النبي ﷺ رؤية الله تعالى بلفظ لا يحتمل التأويل، فقد « نظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال ﷺ: «**إنكم سترَوْن ربكم، كما ترَوْن هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»[(٢)].

ومعنى: (تضامون) أي: لا يضيم بعضكم بعضًا بأن يدفعه عن ذلك أو يستأثر دونه[(٣)].

وقد استدل النبي ﷺ على رؤية الله في الآخرة بآية من كتاب الله، فعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦] »[(٤)].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٤/ ٧٣).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (١/ ١١٥). وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٦٠).

(٣) انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة (١/ ٢٨٤). وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣/ ١٠١).

(٤) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٦٣). وفي مسند الإمام أحمد قال: «...ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ». المسند (٣١/ ٢٦٥). وسنن الترمذي، الترمذي (٤/ ٦٨٨) وقال الألباني: صحيح. وسنن ابن ماجه، ابن ماجه (١/ ٦٧) وقال الألباني: صحيح. والرد على الجهمية والزنادقة، الدارمي=

وقد سأل الصحابة رسولنا ﷺ، عن رؤية الله، فإن أبا هريرة قال: «إن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تُمَارُون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تُمارون في الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترَوْنه كذلك...** »[(١)].

إن التشبيه الحاصل بالحديث لا يقصد به تشبيه المرئي بالمرئي وإنما هي للرؤية، وقد قال ابن الأثير: «قد يُخيَّل إلى بعض السامعين أن الكاف كاف التشبيه للمرئي، وإنما هي للرؤية، وهي فعل الرائي. ومعناه: أنكم ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، كرؤيتكم القمر ليلة البدر، لا ترتابون فيه ولا تمترون»[(٢)].

ومما أُثر عن أبي بكر رضي الله عنه في إثبات النظر إلى الله تعالى يوم القيامة، أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، فقالوا: «ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى»[(٣)].

ومن خلال دلالات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وما أُثر عن أبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة فإن سلف الأمة أثبتوا رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة، وعُدَّ هذا من فضل الله ونعمائه على عباده الموحدين، كما أنه سبحانه يحجب الكفار عن رؤيته، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فكما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وسئل الإمام مالك رحمه الله عن هذه الآية فقال: «لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه»[(٤)].

=(١٣٣). والتصديق بالنظر، الآجري (٥٠) ورؤية الله، الدارقطني (١٣٠) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/ ٤٥٥) والتوحيد، ابن خزيمة (٢/ ٤٤٦).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (١/ ١٦٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ٢٠٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٥/ ٦٣) بلفظ: عن أبي بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾، قال: النظر إلى وجه ربهم.

(٤) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٥/ ٢٢٥).

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «..قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فرُوي أن الزيادة هي النظر إلى الله تعالى.. وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وكان مما بيَّنه لأمته في هذه الآيات: أنه أعلمهم في غير حديث: «**إنكم تَرَوْنَ ربَّكم تعالى**» روى عنه جماعة من صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقَبِلها العلماء عنهم أحسن القبول ،كما قَبِلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ،وعلم الحلال والحرام ،كذا قَبِلوا منهم الأخبار: أن المؤمنين يرون الله تعالى لا يشكُّون في ذلك»(١).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ، فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا، ولا متوهِّمين بأهوائنا، فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ، ورَدَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلًا، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلًا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة، على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًّا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة...»(٣).

(١) الشريعة، الآجري (٢/ ٩٧٦).

(٢) متن الطحاوية، بتعليق الشيخ الألباني (٤٣).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (٣/ ١٥).

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على قبض الأرض وطيّ السموات بيمينه سبحانه وتعالى:

إن عظمة الله تعالى قد تجلَّت فيما أخبر عن ذاته وصفاته، وفيما يشاهد من مخلوقاته المتعددة المتنوعة، وأعظم آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب رضي الله عنه: «**يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم**»؟ قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: «**والله ليَهْنِك العلم أبا المنذر**»[1].

لقد كانت هذه الآية أعظم آية في كتاب الله لتضمنها معاني العظَمَة للخالق سبحانه وتعالى، فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمَّن انفراده بالربوبية، وأن ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنه خالق ما سواه ومعبوده. وقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ وهذا يتضمن كمال الحياة والقيومية، فإن (السِّنَة والنوم) نقص في (الحياة والقيُّوميَّة) والنوم أخ الموت، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور، فهو سبحانه منزَّهٌ عن السِّنَة والنوم، تنزيهًا يستلزم كمال حياته وقيُّوميَّته. وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ فإن هذا متضمن أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وهذا يتضمن كمال قدرته وخلقه وربوبيته، وأن غيره لا يؤثِّر فيه بوجه من الوجوه، كما يؤثِّر في المخلوقين من يشفع عندهم، فيحملهم على الفعل بعد أن لم يكونوا فاعلين، وإنما الشفاعة عنده بإذنه، فهو الذي يأذن للشفيع، وهو الذي يجعله شفيعًا ثم يقبل شفاعته، فلا شريك له، ولا عون بوجه من الوجوه، وذلك يتضمَّن كمال القدرة والخلق والربوبية والغِنى والصمديَّة.

(١) صحيح مسلم، مسلم (١/ ٥٥٦).

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فإن هذا يقتضي أنه الذي يُعلِّم العباد ما شاء من علمه، وأنه لا عِلْم لهم إلا ما علَّمهم، فبيَّن أنه المنفرد بالتعليم والهداية، لا يعلم أحد شيئًا إن لم يُعلِّمه إياه، كما أنه المنفرد بالخلق والإحداث، فهو الذي خلق فسوَّى، وهو الذي قدَّر فهدى. وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يكْرُثه ولا يثقُل عليه، وهذا يقتضي كمال القدرة وتمامها، وأنه لا تلحقه مشقة ولا حرج»(١).

ومن أمثلة الاستشهاد النبوي: أن حبرًا من الأحبار جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: «يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثَّرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ، حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحَبْر. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]»(٢).

إن من فوائد هذا الحديث الصحيح: «أن الرسول ﷺ كان يذكر صفات الله -تعالى- في المجامع العامة، ويخطب ببيانها على المنبر، ويبالغ في إيضاحها، وتفهيم السامعين لها، حتى إنه يقبض يديه ويبسطهما عند ذكره لقبض الله -تعالى- السماوات والأرض، خلافًا لمن زعم أنه لا ينبغي ذكر صفات الله عند عامة الناس، وهو زعم باطل مخالف للحق وطريق الرسول ﷺ، حيث كان يُعرِّف الناس بربهم، ويذكر لهم صفاته وأفعاله وأقواله في كل موطن، ويكرِّر ذلك في مجالسه، وخُطبه، يَعرِف ذلك من سَبَرَ حاله، وتتبَّع سُنَّته، صلوات الله وسلامه عليه. وهذا الذي فعله رسول الله ﷺ، لا يدع مجالًا للشك في أن المراد من هذه النصوص هو ما دلَّت عليه ظاهرًا، وأن تأويلها وصرفها عن ظاهرها باطل قطعًا، وتحريف للكلم عن مواضعه.

---

(١) الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٦٤) (بتصرف يسير).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (٦/ ١٢٦).

ويزيد ذلك تأكيدًا وبيانًا أن أحدًا من الصحابة لم يسأل رسول الله ﷺ، ولم يستفسر عن شيء منها؛ لأنهم فهموا المراد من ظاهر الخطاب ونصه»[(١)].

وقد قال السلف رحمهم الله تعالى عن الاستشهاد النبوي: «..إن الأثر قد جاء به تصديقًا لليهودي، لا تكذيبًا له» [(٢)].

وتأكيد النبي ﷺ لكلام اليهودي، قال عنه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن النبي ﷺ، لم يكن يُنكر على أهل الكتاب ما يخبرون به من الصفات التي تسمِّيها النفاة تجسيمًا وتشبيهًا، وإنما أنكر عليهم ما وصفوا الله تعالى به من النقائص والعيوب.

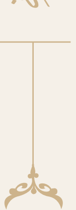
ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين أنهم ذمُّوا أهل الكتاب بما يذمهم به نُفاة الصفات، ولا يذكرون لفظ التجسيم ونحوه من الألفاظ التي أحدثها المحدَثون: لا بمدح ولا ذم، ولا يقولون ما تقوله النفاة إن التوراة فيها تشبيه»[(٣)].

ومعتقد السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذه الصفة وفي غيرها كما قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن اعتقد معتقد في هذه الصفات، ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة، التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول- فهو كافر. وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي. وإن أمَرَّها كما جاءت، من غير تأويل، ولا تفسير.. كما فعلت الصحابة والتابعون فهو الواجب عليه»[(٤)].

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على مفاتيح الغيب الخمس:

لقد أفرد الله سبحانه نفسه بعلم الغيب، فقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان (٢/ ٢٠١).
(٢) نقض الإمام الدارمي على المريسي الجهمي، الدارمي (١/ ٣٧٣).
(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥/ ٨١).
(٤) الاعتقاد، ابن أبي يعلى (٣١).



وعِلْم الغيب لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا ملَكٌ مقرب، وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ، أن يُبلِّغ الناس بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وإنما هو ﷺ كما قال الله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [الأنعام: ٥٠] ومنزلة النبوة لا تستلزم علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «...ومن حدَّثك أنه يعلم الغيب، فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله» (١).

ومما يجب أن يُعتقد أن من فضل الله على رسله عليهم السلام أن يُطلعهم على شيء من غيبه، كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فأعلَم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره» (٢).

ومن نماذج استشهاد النبي ﷺ بالآيات القرآنية أنه قال ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمس**، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] » (٣).

وفي لفظ حينما سأل جبريلُ النبيَ ﷺ، وقال له: «...متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلَم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأَمَة ربَّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البُهُم في البنيان، في خمس لا يعلمهنَّ إلا الله**» ثم تلا النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية، ثم أدبر فقال: «**رُدُّوه**» فلم يروا شيئًا، فقال: «**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**» (٤).

(١) صحيح البخاري، البخاري (٩/ ١١٦).
(٢) تفسير الطبري، الطبري (٢٣/ ٦٧١).
(٣) صحيح البخاري، البخاري (٦/ ١١٥).
(٤) المرجع السابق (١/ ١٩).

وبهذا الحصر قرَّر علماء الإسلام المعتقَد في الإيمان بالغيب، بأنه: «لا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلَّت عليه هذه الآيات المحكمات، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه، وما أخبر به عن نفسه، وأخبر به رسوله ﷺ، وأجمع عليه العلماء. فإن الله استأثر بعلمه عن خلقه، ووصف نفسه بأنه علَّام الغيوب، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب»[(١)].

المسألة الرابعة: الاستشهاد النبوي على إبطال ربط الكسوف والخسوف بالأحداث الأرضية:

خلق الله الشمس والقمر وأحسَن خلْقَهما، وقدَّرهما أحسن التقدير، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير الآيات: «ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ [الأعراف: ٥٤] ؛ ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ هاهنا: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: نصرمه منه فيذهب، فيُقبل الليل؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾»[(٢)].

ومن تدبير الله لهما أنهما يسيران بأمره فلا الشمس تتقدَّم القمر ولا الليل سابق النهار، كما أنه «لا يمكن أن تُوجد الشمس في الليل، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، ﴿وَكُلّٞ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ أي: يترددون على الدوام، فكُلّ هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصًا وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع»[(٣)].

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٧١).

(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير (٦/ ٥٧٥).

(٣) تفسير تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٦٩٦).

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية
بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

وقد قال ابن القيم رحمه الله: «سلك طائفة من النُظَّار طريق الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد نبَّه عليه القرآن في غير موضع كقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ولما كانت السماء والأرض ثابتتين حتى ظن من ظن أنهما قديمتان، ذكر مع الإقسام بهما - في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾- بانيهما ومبدعهما، وكذلك النفس فإن حدوثها غير مشهود حتى ظن بعضهم قدمها، فذكر مع الإقسام بها مسوِّيها وفاطرها، مع ما في ذكر بناء السماء وطَحْو الأرض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعناية بالخلق»[(١)].

وهذه من المسائل المحسومة في عقيدة المسلمين، وقد استدل النبي ﷺ على قدرة الخالق سبحانه وتعالى على تغيير مجرى الشمس والقمر، وأن حدوث ظاهرتي الكسوف والخسوف لا تتأثران بأحداث العظماء أو الأولياء في الأرض، فقد قال أبو موسى: «خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطوَل قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله، وقال هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ [الزمر: ١٦] فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره»[(٢)].

إن هذا التغيّر الذي جرى على هذا المخلوق العلوي (الشمس أو القمر)، وتغير مجراه الطبيعي وافق في عهد النبي ﷺ، أثناء وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه ورحمه، كما ثبت ذلك من النصوص التالية: عن المغيرة بن شعبة، قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم،

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (١٩).
(٢) صحيح البخاري، البخاري (٢/ ٣٩).

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلُّوا، وادعوا الله**»(١).

وعن جابر، قال: «انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم، فقام النبي ﷺ ، فصلى بالناس ست ركعات بأربع سجدات، بدأ فكبر، ثم قرأ، فأطال القراءة، ثم ركع نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الأولى، ثم ركع نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، فقرأ قراءة دون القراءة الثانية، ثم ركع نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم انحدر بالسجود فسجد سجدتين، ثم قام فركع أيضًا ثلاث ركعات ليس فيها ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها، وركوعه نحوًا من سجوده، ثم تأخر، وتأخرت الصفوف خلفه، حتى انتهينا، وقال أبو بكر: حتى انتهى إلى النساء، ثم تقدم وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه، فانصرف حين انصرف، وقد آضَت الشمس، فقال: «**يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس** - وقال أبو بكر: **لموت بشر- فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلُّوا حتى تنجلي..** »(٢).

وقد ربط بعض الناس -كما في الحديث- موت ابن الرسول ﷺ، بحادثة الكسوف، فبيَّن النبي ﷺ لهم من قوله بأنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس، واستشهد على قوله ﷺ بآيات قرآنية ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

قال ابن حجر عند شرح الحديث: «وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وهو نحو قوله: «**يقولون مُطِرنا بنوء كذا**» قال الخطَّابي: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يُوجب حدوث تغير في

(١) صحيح البخاري، البخاري (٢/ ٣٤).
(٢) صحيح مسلم، مسلم (٢/ ٦٢٣).

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية
بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

الأرض، من موت أو ضرر، فأعلَم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خَلْقان مُسخَّران لله ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما، فالشمس والقمر آيتان أي (علامتان) من آيات الله أي الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته أو على تخويف العباد من بأس الله وسطوته ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] »(١).

وبهذا المعتقد قرَّر علماء الإسلام «أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، قال العلماء: والحكمة في هذا الكلام، أن بعض الجاهلية الضُلَّال، كانوا يُعظِّمون الشمس والقمر، فبيَّن أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى، لا صنع لهما بل هما كسائر المخلوقات، يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما، وكان بعض الضُلّال من المنجِّمين وغيرهم يقول: لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبيَّن أن هذا باطل لا يُغترّ بأقوالهم»(٢).

المطلب الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على تفسير الظلم بالشرك.

لقد أدرك أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم آثار الشرك على الأعمال والمجتمعات، وأنه من أكبر الكبائر، ولذا كانوا من أشدّ الناس ابتعادًا عنه وعن وسائله، ولما نزلت آية من كتاب الله تعالى يُفهم منها تعارض الظلم مع الإيمان شقَّ ذلك عليهم، ففي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر، ابن حجر (٢/ ٥٢٨).
(٢) شرح صحيح مسلم، النووي (٦/ ٢٠٠).
(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء -باب قول الله ولقد آتينا لقمان الحكمة- (٤/ ١٦٣) برقم (٣٤٢٩).

لقد كان الاستدلال النبوي ﷺ مبيِّنًا المراد بالظلم الأعظم، «فالذين شقَّ ذلك عليهم ظنُّوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه فشَقَّ ذلك عليهم، فبين النبي ﷺ لهم ما دلَّهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى، وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، ومن لم يلبس إيمانه به كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء، في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ إلى قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣]، وهذا لا ينفي أن يُؤاخذ أحدهم بظلم نفسه إذا لم يتُب، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

وقد سأل أبو بكر النبي ﷺ عن ذلك فقال: يا رسول الله وأيُّنا لم يعمل سوءًا؟ فقال: «**يا أبا بكر ألستَ تنصَب، ألستَ تحزَن، ألستَ تصيبك اللأواء، فذلك ما تُجزَون به**»[(١)]. فبيَّن أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة قد يُجزَى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه[(٢)].

وممن سأل عن مدلول الآية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أُبيّ بن كعب فقال: «يا أبا المنذر أتيت قبل على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ وقد ترى أنا نظلم ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذلك، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما ذلك الشرك»[(٣)].

(١) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (١/ ٢٣٠). وقال الحاكم في المستدرك، (٣/ ٧٨): «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: (٤/ ٤٦٨): «صحيح».

(٢) كتاب الإيمان، ابن تيمية (٦٨). وانظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤٣).

(٣) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٢٥).

إن الظلم في عمومه له معانٍ متعدِّدة في لغة العرب من أبرزها: «وضع الشَّيْء فِي غير مَوْضِعه، يُقَال: من أشبه أَبَاهُ فما ظلم أي: ما وَقع الشّبَه فِي غير مَوْضِعه»[١]. ثم كثُر ذلك حتى سُمِّي كل عسف ظلمًا[٢].

وباستدلال النبوي ﷺ استدل بعض أهل العلم على بعض مسائل في التوحيد فمن ذلك قولهم: بأن المعاصي لا تكون كفرًا[٣]. وهو ظاهر نصوص الكتاب والسنة.

واستدلوا على أن حق الله الأعظم هو توحيده سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم، وللأنبياء حق وللمؤمنين حق ولبعضهم على بعض حق. فحقُّه تبارك وتعالى أن يعبدوه لا يشركوا به.. ومن عبادته تعالى أن يُخلصوا له الدين ويتوكلوا عليه ويرغبوا إليه ولا يجعلوا لله ندًّا: لا في محبته ولا خشيته ولا دعائه ولا الاستعانة به..» ثم ذكر عددًا من الأدلة على ذلك ومنها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ وذكر الحديث الوارد في تفسير النبي ﷺ للآية وأن معنى (الظلم) هو (الشرك)[٤].

ومن تمام عناية أهل السنة والجماعة في ضبط المصطلحات العقائدية أنهم فرَّقوا بين الكفر الذي ينقل عن الإسلام والكفر الذي لا ينقل عن الإسلام[٥]، وكان من

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي (٤٢٦). وانظر: غريب الحديث، ابن قتيبة (١/ ٤٨٤). وتهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٧٤).

(٢) نزهة جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي (٢/ ٩٣٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (٢/ ١٤٣). وانظر: طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي (٨/ ٨٩).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية (١/ ٣٠٤).

(٥) قال الإمام المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها. فكذلك الشرك شركان: شرك في التوحيد ينقل عن الملة، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء، قال الله جل وعز: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة، وقال النبي ﷺ: «الطِّيَرة شرك»- تعظيم قدر الصلاة، المروزي (٢/ ٥٢٦).

أدلتهم الاستشهاد بحديث ابن مسعود رضي الله عنه، فقال عطاء رحمه الله: «كُفر دون كُفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق» قال أبو عبد الله -أحمد بن حنبل-: «وقد صدق عطاء قد يُسمى الكافر ظالمًا، ويسمى العاصي من المسلمين ظالمًا، فظلم ينقل عن ملة الإسلام، وظلم لا ينقل. قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

إن حصول الأمن التام يتحقق لمن حقق التوحيد الخالص، «فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء، وباجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامها»[2].

وهذا مما يُفهم من سياق الآيات المستدَل بها، فقد قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١] لقد ذكرت الآيات محاجَّة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه، وبيَّن أن تحقيق الأمن لا يكون إلا بالتوحيد الخالص، «فقال الله تعالى ذكره، فاصلًا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له (بظلم) يعني: بشرك، ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا، أحق بالأمن من عقابه مكروهَ عبادته ربَّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروهَ عبادتهم أما في عاجل الدنيا فإنهم وجِلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله»[3].

(١) تعظيم قدر الصلاة، المروزي (٢/ ٥٢٢).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي (٢/ ٤٠٥).

(٣) تفسير الطبري، الطبري (١١/ ٤٩٢). وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤).



مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

وعن عظيم أثر تدبر هذه الآية قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أرَ آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]»[١].

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على السمع والطاعة ومخالفة أهل الكتاب:

إن من تمام الانقياد والإتِّباع لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ طاعتهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]. وقد حكى الله حال أهل النفاق في الامتناع عن الطاعة، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: ٦١].

وأما عن حال أهل الإيمان والتوحيد، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] قال القرطبي: ﴿إِذَا دُعُوٓاْ﴾ أي إلى كتاب الله وحكم رسوله. ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ قال ابن عباس: أخبر بطاعة المهاجرين والأنصار، وإن كان ذلك فيما يكرهون، أي هذا قولهم، وهؤلاء لو كانوا مؤمنين لكانوا يقولون سمعنا وأطعنا. فالقول نُصب على خبر كان، واسمها في قوله: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ نحو ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧][٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طاعة الله والرسول، فإنهما متلازمان، فمن يُطعِ الرسول فقد أطاع الله، ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول»[٣].

ومن استشهاد النبي ﷺ، على وجوب الطاعة والانقياد لله وللرسول ﷺ، ما رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٣٢٣).
(٢) المرجع السابق (١٢/ ٢٩٤).
(٣) الإيمان، ابن تيمية (٣٤).

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله؛ كُلِّفنا من الأعمال ما نُطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية، ولا نُطيقها. قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَين من قبلكم:** ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣] **بل قولوا:** ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم ربنا. ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾. قال: نعم ربنا. ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾. قال: نعم. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: نعم»(١).

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي في شرك الطاعة للأحبار والرهبان:

إن من تمام تحقيق الإيمان أن تكون الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ، وقد جعل الله طاعتهما شرط للإيمان كما قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] ولا يتحقق الفوز إلا بطاعتهما كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] وقال الرسول ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعْصِني فقد عصى الله...**»(٢) والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١١٥).

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٤٦٦).

ومن تمام الانقياد لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، عدم طاعة غير الله ورسوله ﷺ في التحليل والتحريم، وسمَّى هذا من الافتراء كما قال تعالى عن بعض الأحكام التي أقرَّتها الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، فهذه الأحكام صادرة من الطواغيت المحرِّمة لما أحل الله.

لقد استدل النبي ﷺ، على إبطال سُلطة الأحبار والرهبان أو غيرهما في مسألة التحليل والتحريم من كتاب الله تعالى، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «**يا عديّ اطرحْ عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «**أمَا إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحَلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه**»[١].

وفي لفظ آخر أنه قال: أتيتُ النبي ﷺ، وفي عنُقي صليب من ذهب، قال: فسمعته يقول: «﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾»، قال: قلت: يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم قال: «**أجل، ولكن يُحِلّون لهم ما حرَّم الله، فيستحلُّونه، ويُحرِّمون عليهم ما أحلَّ الله، فيُحرِّمونه، فتلك عبادتهم لهم**»[٢].

(١) سنن الترمذي، الترمذي (٥/ ٢٧٨). وانظر: الفسوي في مشيخة يعقوب بن سفيان الفسوي، (١٠٥) بلفظ: «..فقلت يا رسول الله بم كنا نعبدهم؟ قال: فقال: **أليس كانوا يُحِلُّون لكم الحرام فتستحلُّونه، ويحرِّمون عليكم الحلال فتُحرِّمونه؟** قال: قلت: بلى، قال: **فتلك عبادتهم**». المعجم الكبير، الطبراني (١٧/ ٩٢) والسنن الكبرى، البيهقي (١٠/ ١٩٨) وابن جرير في التفسير (١٤/ ٢٠٩) ورواه من ثلاثة طرق. وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤) والخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه (١/ ٤١٤). وقال ابن تيمية في الإيمان: «وهو حديث حسن». (٥٨) وقال الشيخ الألباني: «حديث حسن». وانظر عن قصة إسلام عدي: الروض الأُنف، السهيلي (٧/ ٤٧٥). وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ١٦٢). الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٧/ ١٢٢).

(٢) السنن الكبرى، البيهقي (١٠/ ١٩٨).

لقد فهم أصحاب النبي ﷺ، دلالة الآية كما ذكرها الرسول ﷺ، فقد قيل لحذيفة رضي الله عنه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ قال: «لا، ولكنهم كانوا يحلُّون لهم الحرام فيستحلُّونه ويحرِّمون عليهم الحلال فيحرِّمونه»[١].

وفي لفظ آخر: قيل لحذيفة: أترَكَت بنو إسرائيل دينها في يوم؟ قال: «لا، ولكنهم كانوا إذا أُمروا بشيء تركوه، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسماهم الله بذلك أربابًا»[٣].

وعن الربيع بن أنس، قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: «لم يسبوا أحبارنا بشيء مضى، «ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم»، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم»[٤].

وعن أبي البَخْتَري: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قال: «انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حرامًا، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالًا فأطاعوهم في ذلك. فجعل الله طاعتهم عبادتهم. ولو قالوا لهم: "اعبدونا"، لم يفعلوا»[٥].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤).

(٢) السنة، أبوبكر بن الخلال (٤/ ١١٨).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٢١١).

(٤) المرجع السابق (١٤/ ٢١١).

(٥) المرجع السابق (١٤/ ٢١١).

وعلى خُطى الصحابة والتابعين نهج أئمة السلف رحمهم الله تعالى بأن المراد بالآية أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال؛ لا أنهم صلَّوا لهم، وصاموا لهم، ودعَوهم من دون الله.

وقد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن دلالة الآية: «إن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم» (١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يصلُّون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركًا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»، وقال: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ أو كره، ما لم يُؤمر بمعصية**»، وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وقال: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**»(٢).

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان اليهود والنصارى يُحرِّمون ما حرَّم أحبارهم ورهبانهم، ويُحِلُّون ما أحَلُّوا؛ كانت هذه ربوبية صحيحة، وعبادة صحيحة، قد دانوا

(١) كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب (٢٥).
(٢) الإيمان، ابن تيمية (٦٠).

بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أربابًا من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف»[1].

فمن خلال الآية السابقة حكم علماء السلف رحمهم الله تعالى على أن الطاعة هي نوع من أنواع العبادة، فلا تُصرف إلا لله تعالى، ولذا قالوا: «لما كانت الطاعة من أنواع العبادة بل هي العبادة فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام؛ .. وأنه لا يُطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالًا.

والمقصود هنا -في الآية- الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقًا في ذلك غير الرسول ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى؛ فهو مشرك كما بيَّنه الله تعالى في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ أي: علماءهم ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾. وفسَّرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال»[2].

وقد عَدَّ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنواع الشرك، وذكر منها: شرك الطاعة، فقال: ودليله قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾-الآية- وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم، كما فسَّرها النبي ﷺ، لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية[3].



(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٣/ ١٢٥).
(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب (٤٦٩).
(٣) الرسالة المفيدة، محمد بن عبد الوهاب (٤٤).

المبحث الثاني

الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالأنبياء والرسل

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستشهاد النبوي على صفة الحياء لنبي الله موسى عليه السلام:

إن من عقيدة السلف في الإيمان بالأنبياء حفظ مكانتهم، وعدم الخوض فيما لم يثبُت من طريق الوحيَين عن حياتهم وسيرتهم، مع الاعتقاد الجازم بأن الله قد اصطفاهم على الناس، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥] قال الطبري رحمه الله عن معنى الآية: «الله يختار من الملائكة رسلًا كجبرئيل وميكائيل اللَّذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ومن شاء من عباده، ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم»[(١)].

وقد وصف الله بعض أنبيائه بصفات خصَّهم بها، فقال مثلًا عن إبراهيم عليه السلام ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٤] وقال عن إسماعيل عليه السلام، ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٤] إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي تليق بالأنبياء عليهم السلام.

ومما ثبت في السنة من ذكر خصالهم عليهم السلام، والتي اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم، عبرة وقدوة، ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم قَسْمًا، فقال رجل: إن هذه لَقِسمة ما أُريد بها وجه الله، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: «**يرحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(٢)].

(١) تفسير الطبري، الطبري (١٨/ ٦٨٧).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (٤/ ١٥٧). وصحيح مسلم، مسلم (٢/ ٧٣٩).

ومن أمثلة الاستشهاد النبوي أن الرسول الله ﷺ قال: «**إن موسى كان رجلًا حييًّا، وذلك قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب: ٦٩] »(١).

إن الرسول ﷺ استشهد بهذه الآية والتي فيها النهي عن أذيَّته ﷺ، وألَّا يتشبه المؤمنون بأهل الكتاب حينما آذوا موسى عليه السلام.

وأذيَّة نبي الله موسى عليه السلام هي كما ثبت في الحديث: «**إن موسى كان رجلا حييًّا ستّيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرِّئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾»(٢).

المطلب الثاني: الاستشهاد النبوي على مكانة نبي الله إدريس عليه السلام:

من مسائل الإيمان وجوب الإيمان بالرسل عليهم السلام جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ ومن أنبياء الله الكرام إدريس عليه السلام الذي قال الله عنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٦]. وقد قال ابن قتيبة: «وسُمِّي إدريس؛ لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسُنن الإسلام»(٣).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري (٦/ ١٢١).
(٢) لمرجع السابق (٤/ ١٥٦).
(٣) أعلام النبوة، الماوردي (٨١-٨٢).



وقد عُدَّ نبي الله إدريس عليه السلام من الأنبياء الأوائل عليهم السلام، فقد قال ابن تيمية: «..نبي الله نوح. وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيًّا مكلَّمًا» [(١)].

كما أثنى الله على إدريس عليه السلام ووصفه بالنبوة والصدِّيقية، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٦]. وقال ابن كثير عنه: (خنوخ). وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب[(٢)]. وكانت له أوائل فهو أول من خاط الثياب[(٣)].

وقد رفع الله مكانة نبيه إدريس عليه السلام حيث كان في السماء الرابعة، وذكر الطبري أنها من معاني الرفع فقال عند قوله تعالى:﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]« ذُكِر أن الله رفعه وهو حي إلى السماء الرابعة»[(٤)].

وهذا المعنى قد استشهد به النبي ﷺ حينما قال عن حادثة المعراج، «**أتيت بالبُراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل...ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل** عليه السلام**، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتِح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحَّب ودعا لي بخير، قال الله** عز وجل: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾» [(٥)].

وهذا العلو والارتفاع الوارد في القرآن الكريم لنبي الله إدريس عليه السلام من التفضيل الذي يُكرم الله به بعض أنبيائه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا

(١) النبوات، ابن تيمية (٢/ ٧١٤). وذكر حديث أن نوحًا عليه السلام أول الرسل كما في حديث الشفاعة في صحيح البخاري، (٦/ ١٧). كما قد ذكر ذلك أيضًا ابن كثير في تاريخه. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ٩٩).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ٩٩).

(٣) قصص الأنبياء، ابن كثير (١/ ٧١).

(٤) تفسير الطبري، الطبري (١٥/ ٥٦٢).

(٥) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٤٥).

دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

إن رفع نبي الله إدريس عليه السلام حيًّا وما ورد فيه من تفصيلات الرفع من آثار وروايات، لم تُقبل عند بعض المحقِّقين على إطلاقها، فقد قال ابن حجر عن رفعه حيًّا عليه السلام: «وكون إدريس رُفع وهو حيٌّ لم يثبت من طريق مرفوعة قوية. وقد روى الطبري أن كعبًا قال لابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: أن إدريس سأل صديقًا له من الملائكة، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به، فلما كان في السماء الرابعة، تلقَّاه ملك الموت، فقال له: أريد أن تُعلمني كم بقي من أجَل إدريس؟ قال: وأين إدريس؟ قال: هو معي، فقال: إن هذا لشيء عجيب، أُمِرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟! فقبض روحه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، وهذا من الإسرائيليات، والله أعلم بصحة ذلك»(١).

ومما ذكر العلماء عن نبي الله إدريس عليه السلام أن الله تعالى لما ذكره وذكر فضله وتفضله عليه بالرفعة قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] قال الطبري: «فالذي عُني به من ذرية آدم: إدريس، والذي عُني به من ذرية من حملنا مع نوح: إبراهيم، والذي عُني به من ذرية إبراهيم:

(١) فتح الباري، ابن حجر (٦/ ٣٧٥). وقد ذكر الرواية ابن القيم في كتابه الروح، (١٠٥). وقال السهلي: مكان إدريس: وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان إدريس سأله أن يريه الجنة فأذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حيا إلى ذلك المكان العلي خاص له دون الأنبياء. انظر: الروض الأنف، السهلي (٣/ ٢٨٦).



إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عُني به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرَّق -تعالى ذكره- أنسابهم، وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح»(١).

(١) تفسير الطبري، الطبري (١٥/ ٥٦٥).

المبحث الثالث
الاستشهادات المتعلقة باليوم الآخر

المطلب الأول: الحياة البرزخية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على تثبيت المؤمن في قبره:

تنقسم العوالم التي يمر بها الإنسان إلى ثلاثة أقسام: الحياة الدنيا، وهي حياة الابتلاء والامتحان وهي دار التكليف، والحياة الثانية حياة البرزخ وهو ما يحصل له في قبره وقد يكون في نعيم أو جحيم ولكنه ليس دائمًا، والحياة الثالثة الحياة الآخرة إما إلى جنة وإما إلى نار.

وقد بيَّن الرسول ﷺ جميع أحكام الحياة والموت.. وعرَّفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يُعرِّف به نبي غيره(١).

ومن هذه الأحاديث الواردة في مجال بحثنا ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «**إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾»(٢) [إبراهيم:٢٧].



لقد أصَّل الاستدلال النبوي ﷺ على مسألة عقائدية من مسائل الغيبيات والتي لا تُعرف إلا عن طريق الوحي، وهي ما يقع على الإنسان في قبره. وقد ذكر السلف رحمهم الله تعالى في كتبهم هذا المعتقد، فمن عقيدتهم أنهم «يؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ، مع قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾»(٣).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (٤/ ٢٨٦).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (٢/ ٩٨).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث، الصابوني (٧٠).

وقد ورد في معنى فتنة العبد في قبره ما لا يُحصى من الآي والأخبار والآثار، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات...**» [(١)]. قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «المراد بفتنة المات: فتنة القبر، كما صحَّ عن النبي ﷺ في فتنة القبر» [(٢)].

إن سؤال العبد في قبره هو من الفتنة، فقد قال ﷺ: «**وأُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور قريبًا من فتنة الدجال، فأما المؤمن - أو المسلم**، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - **فيقول: محمد جاءنا بالبينات، فأجبناه وآمنَّا، فيُقال: نَمْ صالحًا، علمنا أنك موقن، وأما المنافق - أو المرتاب**، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - **فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقُلْتُه**» [(٣)].

وقد عَدَّ السلف رحمهم الله تعالى نعيم القبر وعذابه محل اتفاق وإجماع، حيث نقل أبو الحسن الأشعري رحمه الله، إجماع الصحابة رضي الله عنهم على عذاب القبر، فقال: «رُوي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، ورُوي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وما رُوي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعًا من أصحاب النبي ﷺ» [(٤)].

إن الأحاديث الواردة في إثبات فتنة القبر -وأنه إما نعيم للعبد أو عذاب عليه- ثبتت بطرق متواترة، قال ابن القيم: « ...أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب.. فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ» [(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري (١/ ١٦٦).
(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (١/ ٣١١).
(٣) صحيح البخاري، البخاري (٩/ ٩٤).
(٤) الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري (٢٤٧). وذكر ذلك الإجماع في رسالة إلى أهل الثغر، الأشعري (٢٧٩).
(٥) كتاب الروح، ابن القيم (٥٢).

إن دلالة آية ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على عذاب ونعيم القبر هو محل اتفاق المفسرين، فبعد أن ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة من أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية، قال: «القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أن معناه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ»[(١)].

ولثبوت ما استدل به النبي ﷺ عن الافتتان في القبر، والمستلزم نعيمه وعذابه فقد قرَّر علماء السلف هذه العقيدة (فتنة القبر)، في مسائل الاعتقاد فمن ذلك قولهم: «وأهل السنة يؤمنون بأن هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتُسأل عن النبي ﷺ كيف شاء الله، ويُصدِّقون بذلك بلا كيْف قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾»[(٢)].

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سؤال منكر ونكير حقٌّ كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز»[(٣)].

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سؤال الملَكَين منكر ونكير فالإيمان بذلك واجب شرعًا لثبوته عن النبي ﷺ في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر، وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] »[(٤)].

(١) تفسير الطبري، الطبري (١٦/ ٦٠٢). وانظر: تفسير البغوي، البغوي (٤/ ٣٤٩).
(٢) أصول السنة، ابن أبي زمنين (١٥٠).
(٣) الفقه الأكبر، أبو حنيفة (٦٥).
(٤) لوامع الأنوار البهية، السفاريني (٢/ ٥).

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على عدم دخول روح الكافر إلى السماء:

إن من أعرض عن عبادة الله تعالى، وتكبَّر على أوامره فلا يستحق الإكرام من خالقه سبحانه وتعالى، ولذا فقد حكم الله على الكفار بأن السماء لا تُفتَّح لهم أبوابها ولا يدخلونها.

وقد استشهد النبي ﷺ في تقرير هذه العقيدة من كتاب الله تعالى، وذلك حين إخباره ﷺ، عن حال إخراج روح المؤمن، وإخراج روح الكافر، فقال ﷺ: «...**ثم يجيء ملَك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتُها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سَخَطٍ من الله وغَضَب**». قال: «**فتفرَّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرْفة عين حتى يجعلوها في تلك المسُوح، ويخرج منها كأنتَن رِيح جِيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][(١)].

وأثر عن الصحابة رضي الله عنهم بأن المراد بعدم فتح أبوب السماء هي للكفار، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «عنى بها الكفار بأن السماء لا تُفتَّح لأرواحهم، وهي تُفتَّح لأرواح المؤمنين»[(٢)].

(١) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (٣٠/ ٥٠١). وأخرجه بتمامه ومختصرًا: ابن أبي شيبة في المصنف، (٣/ ٣١٠ و٣٧٤). وابن خزيمة في التوحيد (١١٩). والآجرِّي في الشريعة (٣٦٧-٣٧٠). والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٥٥) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. وقال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٦).

وعلَّل ابن عباس رضي الله عنهما بعدَم فتح أبواب السماء لأرواح الكفار، فقال: «لأنها خبيثة لا يُصعد بها بل يُهوى بها إلى سِجِّين، إنما تُفتَّح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ولا يدخلون الجنة حتى يلِجَ الجمَل في سَمِّ الخِياط، أي: حتى يدخل البعيرُ في ثقْب الإبرة»(١).

وتحديد دخول أرواح الكفار إلى الجنة بدخول الجمل إلى ثقب الإبرة، بأن المراد منه أنه لا يدخلونها أبدًا، «وهذا دليل قطعي لا يجوز العفو عنهم. وعلى هذا أجمع المسلمون الذين لا يجوز عليهم الخطأ أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لهم ولا لأحد منهم»(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله عن حديث إخراج روح المؤمن والكافر: «هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صحَّحه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رَوَوْه في كتبهم وتَلَقَّوه بالقبول، وجعلوه أصلًا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومساءلة منكر ونكير، وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر»(٣).

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على بعض علامات الساعة الكبرى:

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أن جعل لنهاية الحياة الدنيا وقيام القيامة علامات تدل على ذلك، وبخاصة في إخباره سبحانه عنها بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١] فجعل لها علامات تدل على قربها، وعلامات تدل على قيام القيامة. كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] قال ابن عباس: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ يعني: أشراط الساعة(٤).

(١) تفسير البغوي، البغوي (٢/ ١٩١).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٩١).

(٣) الروح، ابن القيم (٤٨).

(٤) تفسير الطبري، الطبري (٢٢/ ١٧٢).



مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

ومن الاستشهاد النبوي على بعض هذه العلامات، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية[١]. وفي لفظ آخر: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمَنَ مَنْ عليها، فذاك حين:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]»[٢].

وذكر النبي ﷺ، بعض هذه العلامات، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** –فذكر:– **الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** ﷺ، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشَرهم**»[٣].

وقد بحث علماء السلف علامات الساعة، ففي كتب أهل الأثر والحديث ترجمة الأحاديث النبوية عن علامات الساعة تحت أبواب الفتن وأشراط الساعة والملاحم[٤].

كما ذكر السلف أشراط الساعة ضمن العقائد التي يجب التصديق بها والإيمان بوقوعها، كما أخبر عنها الرسول ﷺ، قال الأشعري رَحِمَهُ اللهُ عن إجماع السلف على ذلك والإيمان بما جاء: «من خبر الدجال ونزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال. وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة، من طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله ﷺ، وعرَّفونا صِحَّته»[٥].

(١) صحيح البخاري، البخاري (٦/ ٥٨).
(٢) المرجع السابق (٦/ ٥٨).
(٣) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٢٢٥).
(٤) انظر مثال ذلك: صحيح البخاري (٩/ ٤٦) كتاب الفتن. وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة. وسنن الترمذي (٤/ ٤٦٠) أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ...الخ.
(٥) رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري (١٦٦).

وبَوَّب الإمام ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (الإيمان) عددًا من الأبواب جميعها تنص على وجوب الإيمان بالآيات التي أخبر بها رسول الله ﷺ والتي تكون قبل الساعة، ثم ساق كثيرًا من الروايات في ذلك(١).

إن خروج الشمس من مغربها هي بداية إعلام الناس على نهاية العالم، فكما تغير مجرى الشمس فسيكون تغيير لمجرى حياة المخلوقات. وأيضًا: بخروجها من مغربها تُغلق أبواب التوبة، وقد ورد في الحديث المستشهد به النبي ﷺ بلفظ آخر، قوله ﷺ: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتَخِرُّ ساجدةً، فلا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتَخِرُّ ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيُقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتُصبح طالعة من مغربها**، فقال رسول الله ﷺ: « **أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ذاك**: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] »(٢).

بخروج الشمس من مغربها إغلاق باب التوبة، كما استشهد النبي ﷺ بذلك، وقال ابن عطية وغيره: «معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه توبته، ومن لم يعمل صالحًا من قبل ولو كان مؤمنًا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

(١) انظر: كتاب الإيمان، ابن مندة (٢/ ٩١١-٩٥٨).

(٢) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٣٨). وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٤٩).



وقال القاضي عياض: «المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يُختم على عمل كلَّ أحدٍ بالحالة التي هو عليها»[(١)].

إن خروج الشمس من مغربها بداية عدم قبول التوبة، ويستمر ذلك حتى قيام الساعة، كما دل مفهوم قول النبي ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه**»[(٢)]. وكذلك ما ثبت من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال رسول ﷺ: «**...إن الله جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة لا يُغلق ما لم تطلع الشمس مِن قِبَلِه، وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨] الآية»[(٣)].

وحدَّث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن علامات يوم القيامة، ومما جاء ذكره في حديثه رضي الله عنهما : «**...فتحبس ما شاء الله، ثم يُقال لها: اطلعي من حيث غربْتِ**» قال: «**فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكُن آمنت من قَبل**»[(٤)].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء هذا حدٌّ لقبول التوبة، وقد جاء في الحديث الصحيح إن للتوبة بابًا مفتوحًا فلا تزال مقبولة حتى يُغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلق، وامتنعت التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك، وهو معنى قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]»[(٥)].

(١) فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٣٥٣و١٣/ ٨٨). وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي (١٣٤٦).
(٢) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٠٧٦).
(٣) سنن الترمذي، الترمذي (٥/ ٥٤٦). وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم (٤/ ٥٤٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وذكره ابن كثير في تفسيره من قول عبد الله بن عمرو، (٦/ ٥٧٧).
(٥) شرح صحيح مسلم، النووي (١٧/ ٢٥). وانظر: فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٨٨).

المطلب الثاني: الحشر، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النبوي على أهوال يوم القيامة:

إن يوم القيامة يوم شديد وعسير، وما يصحبه من مقدمات وأهوال يتوافق مع عظمة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، أخبر النبي ﷺ عن حال الناس وأحوالها، فقال ﷺ: «...**فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هَلُمَّ إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسئولون، قال: ثم يُقال: أخرجوا بعث النار، فيُقال: من كم؟ فيُقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك** ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ ، **وذلك** ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]»[(١)].

لقد بيَّن السلف رحمهم الله تعالى معنى (بعث النار) الوارد في حديث النبي ﷺ، بأن يأجوج ومأجوج مشاركين في العدَد، ففي أحَد روايات الحديث السابق، قال فيه: «...فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله؛ أيُّنا ذلك الرجل؟ فقال: «**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل**» قال: ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة**» فحمدنا الله وكبَّرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» فحمدنا الله وكبَّرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقمة في ذراع الحمار**»[(٢)].

قال النووي رحمه الله: «البعث هنا بمعنى المبعوث الموَجَّه إليها، ومعناه: ميِّز أهل النار من غيرهم. قوله ﷺ: «**فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها،**

(١) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٢٥٨).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٢٠١). وانظر: سنن الترمذي، الترمذي (٥/ ٣٢٤). وقال الترمذي: حسن صحيح.



وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد» معناه موافقة الآية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج:١ – ٢] إلى آخرها، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] »[(١)].

إن علماء السلف رحمهم الله تعالى استدلوا بهذا الحديث وغيره من النصوص: «على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضًا على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم في النار، إلا من لم تبلغه الدعوة، أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيهم من الاختلاف، والمتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسّك بدين منسوخ، وكتاب مبدَّل، وهم أيضًا من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧] »[(٢)].

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على حال الناس يوم الحشر:

ذكرت آيات الكتاب الحكيم أحوال الناس يوم القيامة، وذكرت مراحل حشرهم وجمعهم للحساب، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٨ – ٢٠] ، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ – ٤٣]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى العظيم الجليل.

ومن أمثلة الاستشهاد النبوي بالآيات القرآنية في مسائل الاعتقاد، استشهاده ﷺ على حشر الناس يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «**إنكم محشورون حفاةً عراةً غُرلًا**، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]،

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (٣/ ٩٧).
(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب (٢٦٥).

وأوّل من يُكسَى يوم القيامة إبراهيم...»[١]. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سمعت النبي ﷺ، يقول: «**إنكم ملاقو الله حفاةً عراةً مشاةً غرلًا**» [٢].

إن يوم الحشر يكون الناس حفاةً، عراةً، مشاةً، غير مختونين، وهذا مما يتوافق مع الخلق الأول، كما قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [الكهف: ٤٨]، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الكلام: نعيد الخلق عراةً حفاةً غرلًا يوم القيامة، كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم، وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل، وبه الخبر عن رسول الله ﷺ، فلذلك اخترت القول به على غيره»[٣].

إن مما يجب أن يعتقد به المؤمن الإيمان بالأخبار الواردة عن أهوال وأحوال يوم القيامة، وأنهم يُحشَرون كما جاءت النصوص الثابتة حفاةً عراةً غرلًا، وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلَّت النصوص أن هناك حشرًا آخر إما في الجنة وإما في النار، فيُحشر المؤمنون إلى الجنة وفدًا، والوفد هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ قال: «أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يُساقون سَوْقًا ولكنَّهم يُؤتَون بِنُوق لم يَرَ الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمَّتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»[٤]. وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميًا وبُكمًا وصُمًّا. قال



(١) صحيح البخاري، البخاري (٤/ ١٣٩). والغُرْلَة: القُلْفة، وفيها لغة أخرى القلفة ومثلها من الكلام قطعة وقطعة لقطع اليد وخدمة وخدمة وصلعة وصلعة. انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة (١/ ٥٥٨).

(٢) صحيح البخاري، البخاري (٨/ ١٠٩).

(٣) تفسير الطبري، الطبري (١٨/ ٥٤٤).

(٤) المرجع السابق (١٨/ ٢٥٤). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، (٧/ ٣٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٩) وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرجه عبد الله بن أحمد وفي زوائد المسند وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه) (٥/ ٥٣٩).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٤].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «يحشر الناس حفاةً عراة غُرْلًا، قيامًا أربعين سنة، شاخصةً أبصارهم إلى السماء، قال فيُلجمهم الله العرق من شدة الكرب، ثم يُقال: اكسوا إبراهيم، فيُكسى قبطِيَّتَين من قَباطي الجنة.. »[١].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: «يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلًا، أو قال قُلفًا فأُخبرت أن أوّل من يُتلقى بثوب إبراهيم عليه السلام سلامًا»[٢].

المسألة الثالثة: الاستشهاد النبوي على شفاعته صلى الله عليه وسلم لأمته:

إن من المقرر في كتب أصول عقائد أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي من مسائل إكرامه صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى، وقد قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة»[٣]. وقال ابن تيمية: «ومن السنن المتواترة التي من جحدها كفر.. شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فإن السنن فيها متواترة... وشفاعته دعاؤه، وسؤاله الله تبارك وتعالى. فهذا وأمثاله من القرآن، والسنن المتواترة، وجاحد مثل ذلك كافر بعد قيام الحُجَّة عليه»[٤].

واستدل السلف رحمهم الله على إثبات شفاعته صلى الله عليه وسلم بما ثبت في الصحاح والمسانيد والآثار، فمن ذلك حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «..**فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيُؤذن لي، فإذا رأيتُ ربي وقعت ساجدًا، فيَدَعني ما شاء الله، ثم يُقال:**

(١) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير (١/ ٣١٦).
(٢) الزهد، ابن المبارك (٤٦٢). وعن هذه المسألة انظر:
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي (٥٣١).
- البعث، أبو دواد (٢٩).
- النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير (٢٨٨).
(٣) الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري (٢٤١).
(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٣/ ٢٨).

ارفع رأسك، وسَلْ تُعطَهْ، وقُلْ يُسمعْ، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأحمدُه بتحميد يُعلِّمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود» (١).

وقد جاء ذكر شفاعته ﷺ ثوابًا لمن يؤدي عمل من أعمال البر، فعن جابر بن عبدالله: أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدَّته، حَلَّت له شفاعتي يوم القيامة**» (٢).

ومن عظيم مقامه ﷺ عند ربه فقد شفع لمن تلبَّس بكبائر الذنوب، عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**»(٣).

وعندما بيَّن ابن تيمية الأسباب العشرة المكفرة للذنوب قال: «شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة، مثل قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» (٤).

وقد خصَّ الله نبيَّه ﷺ بالشفاعة من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطَهنَّ أحد قبلي: نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعلَت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيَّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلَّت لي المغانم ولم تُحلّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة**» (٥).

(١) صحيح البخاري، البخاري (٦/ ١٨) قال البخاري: إلا من حبسه القرآن، يعني قول الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

(٢) المرجع السابق (١/ ١٢٦).

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه (٢/ ١٤٤١). قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية (٧/ ٥٠٠).

(٥) صحيح البخاري، البخاري (١/ ٧٤).



ومن خلال النصوص السابقة فقد استشهد النبي ﷺ لمقامه الكريم عند ربه بآيات من القرآن الكريم في إثبات شفاعته، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسَلْهُ ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد فقل: إنا سنُرضيك في أمتك ولا نسُوؤُك**»(١).

قال النووي: «هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم،.. والبشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا بما وعدها الله تعالى بقوله: «**سنُرضيك في أمتك، ولا نسوؤك**» وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ، .. وهذا الحديث موافق لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾»(٢).

ووجه الاستدلال بالآية هو أن النبي ﷺ، «أتى بذكر الشفاعة التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية ؛ لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيرًا من الناس، فمن تاب من عبادتها وتبعني في التوحيد، فإنه متَّصل بي فاقبل شفاعتي فيهم»(٣).

(١) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٩١).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي (٣/ ٧٨)

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي (٨/ ٣٥٤٧)، وما ذكره الله عن النبيَّين إبراهيم وعيسى عليهما السلام يدلان على رحمة النبيَّين بأتباعهما من المؤمنين.

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

المطلب الثالث: الجنة والنار، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستشهاد النَّبوي على حسرة الكافرين عند دخولهم النار:

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن من مات مشركًا بالله تعالى فإن الله حكم عليه بالخلود في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال الرسول ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[١]. وقال ﷺ: «**من لقِيَ الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لَقِيَه يُشرك به دخل النار**»[٢].

كما ذكر الله تعالى في كتابه الحسرة التي يُصاب بها أهل النار حينما يحاسبون على أعمالهم: كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. وقد قال أبو العالية عن معنى هذه الآية: «صارت أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم يوم القيامة»[٣].

وقد جاء تأكيد هذا المعنى في استشهاد النبي ﷺ على ذلك، فقد قال ﷺ: «**يُجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح فيُقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال فيُؤمر به فيُذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» قال: «ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا»[٤].

(١) صحيح البخاري، البخاري (٢/ ٧١).

(٢) صحيح مسلم، مسلم (١/ ٩٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٩).

(٤) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢١٨٨).



ومن تمام الحسرة لأهل النار، أن هذا الحديث ورد بلفظ وقال ﷺ في تمامه: «...**فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار**»[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يصوِّر الله الموت في صورة كبش أملح، فيُذبح، قال: فييأس أهل النار من الموت، فلا يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار، وفيها أيضًا الفزع الأكبر، ويأمن أهل الجنة الموت، فلا يخشونه، وأَمِنوا الموت، وهو الفزع الأكبر، لأنهم يخلدون في الجنة»[(٢)].

إن تصوير الموت على هيئة كبش، ومعرفة أهل الجنة والنار له بعد دخولهما لها، ثم ذبحه أمامهما جميعًا، والمناداة بالخلود، هو من تمام الحسرة والندامة لأهل النار.

وقد قرر علماء السلف من هذا الحديث مسألتين:

المسألة الأولى: إن مجيء الموت بصورة كبش ويذبح، أن: «ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، ...فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما يُنشئ من الأعمال صورًا معاينة، يُثاب بها ويُعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجسامًا، تكون الأعراض مادةً لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى»[(٣)].

المسألة الثانية: أبديَّة الجنة والنار وخلود أهلهما فيها وعدم الفناء لهما، وقالوا: «إن الجنة حق وأنها دار نعيم أبدًا، لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية، وأنها أُعدَّت

(١) سنن الترمذي، الترمذي (٤/ ٦٩٣) وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) تفسير الطبري، الطبري (١٨/ ٢٠١).
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم (٤٠١). وقال ابن رجب: «والله سبحانه قادر على أن يخلق من المعاني أجسامًا محسوسة مشاهدة، كما يجعل الموت في صورة كبش أملح يذبح» فتح الباري، ابن رجب (٢/ ١١٠). وانظر: فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٤٢١).

للمسلمين والنبيين المتقدمين وأتباعهم على حقيقة، كما أتوا به قبل أن ينسخ الله تعالى أديانهم بدين الإسلام.

وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدًا، لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية، وأنها أُعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام، ولمن خالف الأنبياء السالفين، قبل مبعث رسول الله ﷺ وعليهم الصلاة والتسليم وبلوغ خبره إليه»[(١)].

المسألة الثانية: الاستشهاد النبوي على نجاة المؤمنين من الوقوع في النار بعد ورودها.

من عقيدة أهل الإيمان أن الله تعالى قد حكم على من أشرك بالله وكفر به، ومات على ذلك فإنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢] وبهذا جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية، وهو ما عُلم من دين الإسلام واعتقده المسلمون.

إن من عقيدة السلف الصالح أن الله سبحانه وتعالى قد خص بفضله ورحمته من يجازيهم على قدر أعمالهم فيثيبهم بالنجاة من النار ويقطع له بأنه من أهل الجنة، فقال السلف: «أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة ولا نار، حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضي الله عنهم بأنهم في الجنة، وبأن الله علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وأهل بدر وأهل السوابق، فإنا نقطع على هؤلاء بالجنة، لأن الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله ﷺ »[(٢)].



---

(١) مراتب الإجماع، ابن حزم (١٧٣). وقال القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٩٢٦): «خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين». وانظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار-ابن تيمية. وكشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار، علي الحربي. فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٤٢١) ورفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، الصنعاني، وتوقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، مرعي بن يوسف.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٤/ ٥٢).

ومن كمال عقيدة السلف أنهم قرروا بأن «نرجو لمحسن أمة محمد ﷺ، ونخاف على سيئهم، ونستغفر لذنبهم، ونقبل علانيتهم ونكِلُ سرائرهم إلى الله ﷻ، ولا ندخل لمحسنهم الجنة بإحسان، ولا نارًا بذنب، حتى يكون الله جل ثناؤه هو يحكم بينهم يوم الفصل وهو أحكم الحاكمين»(١).

ومن استشهادات النبي ﷺ في هذه المسألة ما روته أم مبشر رضي الله عنها، أنها سمعت النبي ﷺ، يقول عند حفصة رضي الله عنها: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحَدٌ الذين بايعوا تحتها**» قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: «**قد قال الله ﷻ**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] »(٢).

لقد كان لأهل بيعة الرضوان منزلة عظيمة عند الله وعند رسوله ﷺ، حيث أنزل الله تعالى فيهم آية تتلى إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وخصَّهم الرسول ﷺ بهذه المنقبة الجليلة ومع ما ورد في الحديث المستدَلّ به، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»(٣).

ولما ذكر النبي ﷺ أن أهل الشجرة لا يدخلون النار، وقال في حديثه عن حاطب رضي الله عنه: «أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبْتَ لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية**»(٤)، قال العلماء: فقوله ﷺ «**لا يدخل النار إن شاء الله**» معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعًا، كما صرَّح به في حديث حاطب. وإنما قال: «**إن شاء الله**» للتبرك لا

(١) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، محمد الخميس (٨٥).
(٢) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ١٩٤٢).
(٣) سنن الترمذي، الترمذي (٥/ ٦٩٥) وقال الترمذي (حديث حسن صحيح).
(٤) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ١٩٤٢).

للشك، وأما قول حفصة: (بلى)، وانتهار النبي ﷺ لها، فقالت: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال النبي ﷺ: وقد قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ فيه دليل للمناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة رضي الله عنها، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ»[(١)].

وقد أوضح أهل التفسير معنى الورود الوارد في الآية الكريمة ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقد قال ابن عباس: «"الورد" في القرآن أربعة أوراد: في "هود" قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ وفي "مريم": ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] ، وورد في "الأنبياء": ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾، [الأنبياء: ٩٨]، وورد في "مريم" أيضا: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٧٢] ، كان ابن عباس يقول: «كل هذا الدخول، والله ليردنَّ جهنم كل برٍّ وفاجرٍ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، [مريم: ٨٦] »[(٢)].

وبعد أن أورد الطبري أقوال السلف عن معنى (الورود) قال: «وأوْلَى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يرِدُها الجميع ثم يصدُر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار. وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومكدَّسٌ فيها»[(٣)].

وقد جاء معنى الورود المذكور في السنة النبوية عن النبي ﷺ، حيث قال ﷺ: «...**ويُضرب جسر جهنم**، قال رسول الله ﷺ: **فأكون أوّل من يُجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. وبه كلاليب مثل شوك السَّعدان، أما رأيتم شوك السَّعدان؟** «قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السَّعدان، غير أنها لا يعلم قدر عِظَمها إلا الله، فتخطَف الناس بأعمالهم، منهم الموبَق بعمله، ومنهم المخردَل،...**»[(٤)].

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/ ٥٨).
(٢) تفسير الطبري، الطبري (١٥/ ٤٦٧).
(٣) المرجع السابق (١٥/ ٦٠١).
(٤) صحيح البخاري، البخاري (٨/ ١١٨).

وجاء ذكر الصراط في أحاديث الشفاعة العظمى بين الناس، وفيه: «...**فَيأْتُونَ مُحمدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»(١).

وورد عن الصحابة رضي الله عنهم أن معنى الورود في الآية المرور على الصراط، فعن عبد الله بن مسعود قال: «الصراط على جهنم مثل حدِّ السيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد، كلما وقع رجل اختطفوه، فيمر الصف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجوَد خيل، والرابع كأجوَد البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلِّم سلِّم»(٢). وعن أبي سعيد الخدري قال: «..بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعرة، وأحَدُّ من السيف .. »(٣).

وقال النووي رحمه الله: «والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون»(٤).

(١) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٨٧).
(٢) أصول السنة، ابن أبي زمنين (١٧٠).
(٣) صحيح مسلم، مسلم (١/ ١٧٠).
(٤) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/ ٥٨).

المبحث الرابع

الاستشهادات المتعلقة بالإيمان بالقدر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستشهاد النبوي على سبق القدر بأعمال العباد:

إن مناهج الفرق الكلامية في محاولة التوفيق بين التقدير الإلهي على الخلق في جانب سَبْق العلم بأهل الجنة وأهل النار، وبين محاسبتهم ومعاقبتهم على ما كسبت أيديهم، قد أحدثت شرخًا عظيما في عقائدها، وذلك بسبب عدم جمع النصوص الواردة وفهمها على فهم الصحابة والتابعين.

وقد ثبت في سنة النبي ﷺ وقوع تعليم وتوجيه من الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم حول هذه المسألة، والتي من خلالها استشهد النبي ﷺ بآيات القرآن الكريم على تقريره، فعن علي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ ، ذات يوم جالسًا وفي يده عودٌ ينكُت به، فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**» قالوا: يا رسول الله فلِمَ نعمل؟ أفلا نتَّكِل؟ قال: «**لا، اعملوا، فكل مُيسَّر لما خُلق له**» ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾، إلى قوله ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[1] [الليل: ١٠].

وقد يظهر من كثرة التساؤلات أنهم رضي الله عنهم أرادوا أن يدركوا تفاصيل المسألة، ولهذا ورد التساؤل عن عدد من الصحابة، فمن ذلك:

صدر التساؤل من عمر رضي الله عنه، فقد قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥] سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلامَ نعمل؟ على شيء قد فُرِغ منه، أو على شيء لم يُفرغ منه؟ قال: «**بل على شيء قد فُرِغ منه وجرَت به الأقلام يا عمر، ولكن كل مُيسَّر لما خُلق له**»[2]. وكذلك عن سراقة رضي الله عنه، فعن زهير

(١) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٠٤٠).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي (٥/ ٢٨٩) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: «يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، فيمَ العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يُستقبل؟ «قال: **لا، بل فيما جفَّت به الأقلام وجَرَت به المقادير**، [قال: ففيم العمل؟] قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيسَّر**»(١).

وذكرت كتب السنن حوارًا دار بين أصحاب النبي ﷺ والتابعين، حول مسألة التوفيق بين القدر والمحاسبة، فقد قال أبو الأسود الديلي(٢)، قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيءٌ قُضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلتُ: بل شيء قُضي عليهم، ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعتُ من ذلك فزَعًا شديدًا، وقلتُ: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلَين من مُزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «**لا، بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله** ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ »(٣).

(١) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٠٤٠).

(٢) أبو الأسود الديلي، ويقال الدؤلي البصري، قاضيها، اسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان روى عن: أبي بن كعب، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعمران بن حصين. ثقة، وهو أول من تكلم في النحو. وقال الواقدي: كان ممن أسلم على عهد النبي ﷺ، وقاتل مع علي يوم الجمل، هلك في ولاية عبيد الله بن زياد. وقال يحيى بن معين وغيره: مات في طاعون الجارف سنة تسع وستين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٣٣/ ٣٧).

(٣) صحيح مسلم، مسلم (٤/ ٢٠٤١).

لقد فهم السلف أنه لا تعارض بين العلم الإلهي والعمل الإنساني، وقد بيَّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ «أن النصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابته وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها وأنواعها كثيرة جدًّا، وقد بيَّن النبي ﷺ، أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتَّكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتَّكل على القدر السابق وترك ما أُمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالًا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يُسِّروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أُمر به وفعل المحظور متَّكلًا على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة الميسَّرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ في غاية السداد والاستقامة.. »[(١)].

وقال أيضًا: «فمن ظن أن الشيء إذا عُلم وكُتب أنه يكفي ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله، وسائر الأسباب؛ فهو جاهل ضالٌّ ضلالًا مبينًا؛ من وجهين. أحدهما من جهة كونه جعل العلم جهلًا؛ فإن العلم يطابق المعلوم؛ ويتعلق به على ما هو عليه؛ وهو سبحانه قد علم أن المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب لأن ذلك هو الواقع فمن قال: إنه يعلم شيئًا بدون الأسباب؛ فقد قال على الله الباطل، وهو بمنزلة من قال: إن الله يعلم أن هذا الولد وُلد بلا أبوَين وأن هذا النبات نبَت بلا ماء، فإن تعلق العلم بالماضي والمستقبل سواء، فكما أن من أخبر عن الماضي بعلم الله بوقوعه بدون الأسباب يكون مُبطِلًا؛ فكذلك من أخبر عن المستقبل»[(٢)].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية (٨/ ٢٧٥).
(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٧٥).

ومن خلال هذه الآثار وغيرها أكَّد السلف على مسألة الإيمان بالقدر، وأن كل مخلوق ميسَّرٌ لما خُلق له، وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه»(١).

وبعد أن قرر السلف هذا النهج المعتمد على فهم الكتاب والسنة، قال ابن عبد البر: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها»(٢).

المطلب الثاني: الاستشهاد النبوي على أن هداية الأنبياء، هداية دلالة وإرشاد:

إن مهمة الرسول ﷺ والتي من أجلها أرسل عليه الصلاة والسلام هي التذكير والتبشير، والتحذير والإنذار، وهذه المهمة المقصود منها هداية الناس وإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّنًا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾: «إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم فيتَّبعونه ويأتَمُّون به»(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ في أصح الأقوال أي: ولكل قوم داعٍ يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، كما أنت هادٍ أي: داعٍ لمن أُرسلت إليه. والهادي بمعنى: الداعي المعلِّم المبلِّغ، لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾»(٤).

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (٢٢٣).
(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (٦/ ١٢).
(٣) تفسير الطبري، الطبري (١٦/ ٣٥٨).
(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (٢/ ٩٩).

وقد استدل النبي ﷺ على أن هداية الأنبياء عليهم السلام هداية دلالة وإرشاد، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله، ثم قرأ:** ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية: ٢١ – ٢٢]»[(١)].

لقد كان النبي ﷺ حريصًا على هداية الخلق، ساعيًا في ذلك أعظم السعي، فكان ﷺ يفرح ويُسَرُّ بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقةً منه ﷺ عليهم، ورحمةً بهم، أرشده الله أن لا يُشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] وهنا قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦] أي: مهلكها غمًّا وأسَفًا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرًا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غمًّا وأسفًا عليهم، ليس فيه فائدة لك.

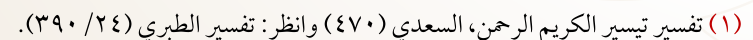
وفي هذه الآية ونحوها عبرة، «فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبِها ونِعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مُضعف للنفس، هادم للقُوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كُلف به وتوَجَّه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي ﷺ يقول الله

(١) صحيح مسلم، مسلم (١/ ٥٢) وقد ثبت في صحيح البخاري (١/ ١٤): عن ابن عمر وعن أنس بدون ذكر الآية، وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه. وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٧٦) بذكر الآية. وأخرجه أحمد في المسند (٢٢/ ١١٩) بذكر الآية. وقد قال ابن كثير في تفسيره: وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان، والترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما، من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة، وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحين من رواية أبي هريرة، بدون ذكر هذه الآية. تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٩).

له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [القصص: ٥٦] وموسى عليه السلام يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾ [المائدة: ٢٥] الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١ – ٢٢] »[١].

وبهذا المعنى فهم السلف بأن مقام الرسول ﷺ كغيره من الأنبياء السابقين إنما هم مُبلِّغين عن الله تعالى، كما قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: لست عليهم بجبار[٢].

«فالرسول ﷺ مُبلِّغ عن الله عز وجل، لم يقُل شيئًا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه ﷺ رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصَّه الله وأخبر به، ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية لله عز وجل، وتكذيبه تكذيبًا لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله»[٣].



(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٧٠) وانظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٠).
(٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير (٨/ ٣٨٨).
(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي (٣/ ١١٠٦).

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فمن خلال دراسة بعض ما ثبت في السنة النبوية من أحاديث الرسول ﷺ في تقرير العقيدة المستمدة من القرآن الكريم، وبيان هديه ﷺ في ذلك، تبيَّن لي ما يلي:

أولًا: اهتمام الرسول ﷺ بالاستشهاد بالقرآن الكريم فهو المصدر الأول للاعتقاد.

ثانيًا: إن السنة النبوية هي حجة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، ومع علو مكانته ورفع درجته ﷺ إلا أنه يستشهد في تقرير العقيدة بآيات من القرآن الكريم.

ثالثًا: إن الاستدلال على تقرير مسائل الاعتقاد وإثباتها يجب أن يُستمَّد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ظهرت الفرق وانتشرت البدع في بعض المجتمعات الإسلامية إلا بالتهاون في هذين المصدرين.

رابعًا: إن علماء السلف في جميع أقسام العلم وتخصصاته، لا يخرجون ولا يحيدون عن النهج النبوي في تقرير العقيدة، وأن استشهاد النبي ﷺ لديهم في مسألة من مسائل العقيدة مُقدَّم على غيره من الناس، كما نقلت عن أئمة التفسير نصوصًا تدل على ذلك.

أهم توصيات البحث:

بعد حمد الله وتوفيقه وشكره، ودراسة نموذجًا من هَدْي السنة النبوية الشريفة في تقرير العقيدة المستمَدَّة من القرآن الكريم، أذكر أبرز التوصيات التي ظهرت لي، ومن أبرزها ما يلي:

أولًا: ضرورة نشر وتربية الأجيال المعاصرة على التطبيق العملي للمنهج النبوي في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ثانيًا: من خلال دراسة الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية يؤكد الباحث على أهمية الدراسات العقائدية المؤصَّلة والمستمَدَّة من تدبر القرآن الكريم وفهم معاني الأحاديث النبوية.

ثالثًا: ضرورة جمع الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية في كتب السنة في كتاب واحد، مما يحقق فائدة عظيمة للباحثين والدارسين في العلوم الشرعية.

رابعًا: ضرورة تحديد آليات ومناهج علمية تُعين على فهم القرآن الكريم وتدبره انطلاقًا من فهم أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم وبقية القرون المفضلة الثلاث.

خامسًا: أوصي الجامعات الإسلامية ومراكز البحث الشرعية بإعداد مشروع علمي عن هدي النبي ﷺ في تأصيل العقيدة وذلك من خلال دراسة سيرته وسنته ﷺ.

والله الموفق والمستعان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **الإبانة عن أصول الديانة**، ابن بَطَّة، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية للنشر – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٢. **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول**، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر.

٤. **أصول الدين**، جمال الدين الغزنوي، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٥. **أصول السنة**، أحمد بن حنبل، دار المنار، الخرج – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٦. **اعتقاد أئمة الحديث**، أبو بكر أحمد الإسماعيلي، المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٧. **اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث**، محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨. **الاعتقاد**، ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

٩. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، الطبعة: ١٣٨٨هـ.

١٠. **أعلام النبوة**، الماوردي، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأول، ١٤٠٩ هـ.

١١. **الإيمان**، ابن تيمية، تحقيق: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.

١٢. **الإيمان**، ابن منده، تحقيق: علي بن محمد فقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ.

١٣. **البعث**، أبو بكر بن أبي داود، تحقيق: أبو هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:١٤٠٧هـ.



١٤. **البداية والنهاية**، ابن كثير، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ، ١٩٨٨.

١٥. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، الأسفراييني، المحقق: كمال الحوت، عالم الكتب– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٦. **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، ابن رجب، تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الثانية:١٤٠٩هـ.

١٧. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد، دار المنهاج للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٨. **التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة**، الآجري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٩. **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، المحقق: د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

٢٠. **تفسير ابن كثير**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩.

٢١. **تفسير البغوي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢. **تفسير الطبري**، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ م.

٢٣. **تفسير آيات الأحكام**، القرطبي، تحقيق: أحمد أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٢٤. **تفسير تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

٢٥. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، تحقيق: العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٢٦. **تهذيب الأثار**، الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٢٨. **التوحيد**، ابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ.

٢٩. **توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين**، للشيخ مرعي بن يوسف، تحقيق: خليل بن عثمان السبيعي، طبعة دار طيبة الرياض السعودية.

٣٠. **تيسير التحرير**، أمير بادشاه الحنفي، دار الفكر، بيروت.

٣١. **خبر الواحد وحجيته**، أحمد الشنقيطي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٣٣. **رؤية الله**، الدارقطني، تحقيق: إبراهيم محمد العلي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، سنة ١٤١١ هـ.

٣٤. **رؤية الله تبارك وتعالى**، ابن النحاس، تحقيق: د. محفوظ عبد الرحمن السلفي، الدار العلمية للطباعة، دلهي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٣٥. **الرد على الجهمية**، الدارمي، تحقيق: بدر البدر، دار بن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣٦. **الرد على من قال بفناء الجنة والنار**، ابن تيمية، تحقيق: محمد السمهري، دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى:١٤١٥هـ.

٣٧. **رسالة إلى أهل الثغر**، الأشعري، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨.

٣٨. **الرسالة**، الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٣٩. **الرسالة المفيدة**، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٤٠. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للصنعاني، تحقيق: وتعليق الشيخ الألباني – المكتب الإسلامي: ١٤٠٥هـ.
٤١. الروح، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. الروض الأنف، السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
٤٣. الزهد، ابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٤٥. سنن الترمذي، تحقيق: وتعليق، أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٤٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٤٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٤٨. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤١٤.
٤٩. شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
٥٠. الشريعة، الآجري، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٥١. شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.
٥٢. صحيح البخاري، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ –تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق.
٥٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
٥٤. الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة بن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٥٥. **طرح التثريب في شرح التقريب**، زين الدين العراقي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

٥٦. **العبودية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ.

٥٧. **العدة في أصول الفقه**، القاضي أبو يعلى، تحقيق: أحمد سير مباركي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٥٨. **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، ابن الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة:١٤١٥هـ.

٥٩. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، القارئ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٠. **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٦١. **فتح الباري**، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.

٦٢. **فتح القدير**، الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٦٣. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦٤. **الفصول في الأصول**، الجصاص، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٦٥. **الفقه الأكبر**، أبو حنيفة، مكتبة الفرقان، الإمارات، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ.

٦٦. **قصص الأنبياء**، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م.

٦٧. **كتاب الإيمان**، لابن تيمية، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٦٨. **كتاب الروح**، ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٩. **كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار**، للدكتور علي بن علي جابر الحربي اليماني، دار طيبة، مكة المكرمة.

٧٠. **لوامع الأنوار البهية**، السفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٧١. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٧٢. **المسودة في أصول الفقه**، آل تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الكتاب العربي.

٧٣. **المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد**، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الطبعة الأولى:١٤١١هـ.

٧٤. **مراتب الإجماع**، ابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الهروي القارئ، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٧٦. **معارج القبول بشرح سلم الوصول**، حافظ الحكمي، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٧. **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**، محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ.

٧٨. **معالم السنن**، الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٥١هـ.

٧٩. **منهاج السنة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٨٠. **الموافقات**، الشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن، دار بن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨١. **النبوات**، ابن تيمية، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦.

٨٢. **نقض التأسيس (بيان تلبيس الجهمية)**، ابن تيمية، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٨٣. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٨٤. **النهاية في الفتن والملاحم**، ابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.





فهرس الموضوعات

